صفحات

من تاريخ العرب الحديث

١٢٥٨ ـ ١٩١٦ م

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

إصلاحات محمد علي باشا في مصر (١٨٠٥ - ١٨٤٩) م

كانت ولاية مصر قد شهدت تطورات واضحة في كافة مجالات الدولة الاقتصادية والثقافية والعسكرية والاجتماعية، وكان للوالي محمد علي باشا دور كبير في تلك التطورات، وفي الجانب الاقتصادي عمل الوالي على استغلال الأراضي المصرية بزراعة المحاصيل المهمة التي كان القطن في مقدمتها فضلاً عن محصول قصب السكر وبعض المحاصيل الأخرى. ولتطويرها استقدم الخبراء الزراعيين وأرسل البعثات العلمية إلى أوربا لدراسة الأساليب الحديثة في الزراعة (٧٢).

ولتوفير مياه الري للأراضي الزراعية اهتم الوالي بتنظيم وسائل الري وتطويرها. فزادت مساحات الأراضي الزراعية من ٣٠٥٤٧١٠ فدان عام ١٨١٣م إلى ٣٨٥٦٢٢٦ فداناً عام ١٨٤٠م ثم إلى ٤١٦٠١٦٩ فداناً عام ١٨٥٢م.

لقد احدث محمد علي باشا تغييراً في ملكية الأراضي الزراعية في مصر، فألغى نظام الالتزام وأصبحت الأراضي تحت تصرفه وإدارته. كما عمل على استصلاح الأراضي لزيادة الإنتاج الزراعي، وأعفى قسماً من الأراضي من الضرائب بشرط استصلاحها وزراعتها.

وكان التوسع في زراعة القطن قد أدى إلى ارتفاع أهمية مصر الاقتصادية إذ وفرت للبلاد محصولاً اشتد الطلب الخارجي عليه، كما استخدم المحصول في مصر لصناعة المنسوجات القطنية.

وفي مجال الصناعة وضع محمد علي باشا أسس التطور الصناعي في مصر معتمداً على إمكانات البلاد المادية والبشرية لتحقيق النهضة الصناعية. فقد أنشا مصانع لسد احتياجات الجيش من الملابس والأغطية والطرابيش، كما أنشا مصانع للأسلحة والذخيرة في القاهرة، وترسانة في الإسكندرية لصناعة وتصليح السفن الحربية، وتوسعت صناعة الحديد لسد حاجة الجيش والأسطول. كما أسس مصنعاً للدباغة.

٧٢- للتفصيل عن ذلك يراجع: احمد الحتة، تاريخ الزراعة المصرية في عهد محمد علي الكبير، دار المعارف بمصر، ١٩٥٠.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

لم يقتصر نشاط محمد علي باشا على الصناعات العسكرية، فقد أسس مصانع للزجاج وأخرى للسكر. ودبغ الجلود والطحين واستخراج الزيوت النباتية فضلاً عن بعض الصناعات التحويلية كالغزل والنسيج بأنواعها.(٧٣)

وبهدف تطوير الصناعة في مصر أمر الوالي معاونيه في ضرورة الاستغناء عن البضائع الأجنبية والاستعانة عنها بالمنتجات المحلية، كما عمل على تشجيع الصادرات من المنتجات الصناعية وأمر بإعفائها من الرسوم الكمركية.

وبذلك نستطيع أن نقول بان محمد علي باشا كان "رائداً في وضع الخطوط الرئيسية للاستثمار والزراعي والصناعي" في مصر. وقد وضع أساس الصناعة المصرية بجهوده الذاتية ونشاطه الإصلاحي.

وفي مجال التجارة كانت ولاية مصر تشكل أهمية سوقية طوال القرن التاسع عشر، وحتى الوقت الحاضر، كونها منطلقاً للتجارة العابرة بين الهند وأوربا. وفي عهد محمد علي باشا تدخلت الحكومة في المعاملات التجارية الداخلية والخارجية.

وفي مجال حركة النقل أسست الحكومة المصرية في عام ١٨٤٥م شركة الملاحة البحرية بين الإسكندرية واسطنبول عن طريق البحر المتوسط، وأنشأت منارة الإسكندرية لإرشاد السفن القادمة إلى الميناء كما أنشأت مخازن لحفظ البضائع ودائرة للكمارك ومساكن لموظفي الشركة.

وشهدت ولاية مصر في عهد محمد علي باشا نهضة كبيرة في الجانب الثقافي(٧٤) فقد وضع الوالي أساس النهضة العربية الحديثة في مصر. فكان تأسيس المدارس الحديثة وإرسال البعثات العلمية إلى خارج مصر هما ركنا الإصلاح في ولاية مصر الجديدة.

٧٣- للتفاصيل يراجع: علي الجرتلي، تاريخ الصناعة في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، دار المعارف بمصر، ١٩٥٢.

٧٤- عن الجانب الثقافي يراجع: احمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي باشا ; جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، القاهرة ١٩٥١.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

وكانت أول بعثة علمية من مصر إلى ايطاليا في عام ١٨١٣م وأخرها إلى بريطانيا عام ١٨٣٨م وشهد عام ١٨٤٦م ما سمي بـ "البعثة الكبرى" إذ أرسل سبعين طالباً للدراسة في أوربا. وانشأ محمد علي العديد من المدارس التي تعتمد المناهج الدراسية الحديثة أساساً في التعليم لعل من أبرزها مدرسة الطب، ومدرسة الترجمة، ومدرسة المهندس خانة، وساهمت مدرسة الترجمة في نقل الكثير من المعارف والعلوم الأوربية إلى الطلبة والمثقفين بعد ترجمتها من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية. وتأسست المدارس الابتدائية الحديثة في مصر عام ١٨٣٣م، وازدهرت حركة التعليم الحديث بين الأعوام ١٨٣٦ و ١٨٤٠م.

وفي مجال الصحافة سبقت مصر، حتى الدولة العثمانية في إصدار الصحف. ففي عام ١٨٢٨م أصدرت الحكومة المصرية "الوقائع المصرية".

وفي مجال الإصلاح الإداري جعل محمد علي باشا على رأس الإدارة عدة دواوين للنظر في شؤونها المختلفة مثل ديوان الداخلية، وديوان الحربية، وديوان الخارجية، وديوان البحرية، وديوان التجارة، وديوان المعارف العمومية وديوان الصحة، وديوان الزراعة، وجعل : المجلس الخاص" برئاسته المشرف والموجه لتلك الدواوين. ويجتمع المجلس بين مدة وأخرى لمناقشة كل الأمور المهمة والخاصة بولاية مصر[٧٥].

وفي المجال العسكري استطاع محمد علي باشا خلال مدة ولايته في مصر ان يكون جيشاً قوياً حقق به انتصارات عديدة منها انتصاره على قوات السلطان العثماني محمود الثاني عام ١٨٣٩م في موقعة نصيبين[٧٦].

٧٥- الديوان هو بمثابة الوزارة، والمجلس الخاص يعني مجلس الوزراء ويترأسه الوالي.

٧٦- للتفاصيل للفكر العسكري لمحمد علي باشا يراجع: محمد علي عبيدات، محمد علي باشا والإستراتيجية العسكرية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ والتراث العربي، بغداد ١٩٩٨.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

واعتمد السلطان القوة في عملية التجنيد الإلزامي حتى بلغ عدد أفراد الجيش المصري عام ١٨٣٩م مئة وخمسين ألف جندي، وعدد أفراد البحرية المصرية ستة عشر ألف شخص يعاونهم ٨٣٥٨ عاملاً في ترسانة إصلاح السفن مع قوات غير نظامية بلغ عددها اثنين وعشرين ألف رجل في العام نفسه. ولكن التدخل الأوربي أدى إلى تقليص عدد أفراد الجيش المصري بعد حرب عام ١٨٣٩م وعقد معاهدة لندن عام ١٨٤٠ فقد حدد عددهم بثمانية عشر ألف جندي وقت السلم.

وبعد توقيع المعاهدة تحددت صلاحيات الوالي محمد علي باشا في داخل حدود ولاية مصر، كما عملت الدول الكبرى لاسيما بريطانيا على تحجيم طموحات محمد علي باشا ومنع تطور مؤسسات الولاية بهدف إضعافها والسيطرة عليها مستقبلاً، وكانت القروض المالية احد الوسائل التي اتخذتها تلك الدول للتدخل في شؤون الولاية.

إصلاحات السلطان العثماني محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) م

تمثل القضاء على قوات الانكشارية [٧٧] عام ١٨٢٦م بداية لحركة الإصلاح في عهد السلطان محمود الثاني، وذلك لان تلك القوات كانت تعارض كل حركة إصلاح للقوات العسكرية في الدولة العثمانية. وبعد القضاء على القوات الانكشارية شكلت "العساكر المحمدية المنصورة" الجيش الجديد. فكانت البداية لخطة شاملة للإصلاح أعدها السلطان محمود الثاني.

وفي مجال التعليم تم تشييد مؤسسات تعليمية حديثة مع إحياء وتطوير المؤسسات التعليمية القديمة. وتحديث مناهج التدريس. وفي عام ١٨٢٧م افتتحت مدرسة حديثة للطب لإعداد الأطباء، كما تم إيفاد عدد من الطلاب إلى أوربا للحصول على العلوم الحديثة.

٧٧- للتفاصيل عن القوات الانكشارية يراجع: علاء نورس، مدى مسؤولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية (مجلة كلية الآداب ، العدد ٣٠، بغداد ١٩٨١) ، والانكشارية هي القوات العسكرية العثمانية التي كانت الأساس في تحقيق الانتصارات خلال حروب الدول، ولكن ضعف تلك القوات وعدم قبولها بالتغيير كان وراء الهزائم التي تعرضت لها الدولة العثمانية.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

وفي عام ١٨٣٠م افتتح معهد المعلمين، ثم مدرسة مهنية لتعليم البناء (الهندسة المعمارية)، فضلاً عن تأسيس عدد من المدارس العسكرية بهدف تطوير القدرات القتالية للجيش العثماني الجديد وفي عام ١٨٣٤م أنشئت أربع مدارس طبية لخدمة الجيش، كما تم إصلاح البحرية العثمانية وتأسيس مدرسة العلوم القضائية، ومدرسة العلوم الأدبية في اسطنبول.

ونالت الطباعة والصحافة وأمور المالية اهتماماً من قبل السلطة العثمانية. وفي مجال الصناعة أسست مصانع الورق. وفي عام ١٨٣١م جرى أول إحصاء للسكان، كما أنشئت مراكز للحجر الصحي وشكلت هيئة البريد. وفي عام ١٨٣٤م أعيد فتح السفارات العثمانية.

وفي مجال الاهتمام بالصحافة صدرت في عام ١٨٣١م أول صحيفة عثمانية باسم "تقويم وقائع" وبعد سنتين أنشئ قسم للترجمة مهمته ترجمة الكتب الأجنبية العلمية والأدبية إلى اللغة التركية.

وشهدت حركة الإصلاح في أواخر عهد السلطان محمود الثاني تقدماً ملحوظاً عندما شكلت أواخر عام ١٨٣٧م لجنة دائمة تخطط للإصلاح بشكل منظم وشامل، وفي عام ١٨٣٨م شكلت نظارة المالية (وزارة المالية) لتكون الأساس في تشكيل هيئة الوكلاء (مجلس الوزراء).

أصبحت تلك الإصلاحات التي قام بها السلطان محمود الثاني قاعدة وبداية للإصلاحات التي بدأت مع اعتلاء خلفه عبد المجيد الأول عرش السلطنة (١٨٣٩-١٨٦١) م. لذلك عُد السلطان محمود الثاني واضع أساس الحكومة المركزية الحديثة في الدولة العثمانية، كما عُد محمود الثاني اقدر سلطان عثماني منذ عهد السلطان سليمان القانوني وأصبحت سلطة الحكومة المركزية في عهده أقوى مما كانت عليه من قبل. ولذلك وصف السلطان محمود الثاني بأعظم السلاطين في "تركيا الحديثة".(٧٨)

٧٨- للتفصيل عن إصلاحات السلطان محمود الثاني يراجع: محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨-١٨٣٩، دار السلام ١٩٧٨.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

إصلاحات مدحت باشا في العراق[٧٩]

يُعد مدحت باشا (١٨٢٢-١٨٨٤) م احد ابرز المصلحين في الدولة العثمانية، حتى اعتبره البعض انه "أبو الدستور العثماني"[٨٠] الذي صدر في عام ١٨٧٦م.

ولد مدحت باشا في اسطنبول في أيلول ١٨٢٢م، نشا نشأة دينية فحفظ القران الكريم وهو في العاشرة من عمره، عمل موظفاً في دوائر الدولة العثمانية، وتدرج في الوظائف الحكومية حتى أصبح في عام ١٨٥٠م رئيساً لقلم الصدارة. ثم زار بعض المدن الأوربية لندن وباريس وفينا وبلجيكا، حصل على رتبة الباشوية عام ١٨٦٠م. فعين والياً على نيش في بلغاريا عام ١٨٦١م وقام بإصلاحات مهمة في الولاية.

وفي نهاية عام ١٨٦٤م أوكل إليه منصب الوالي في الطونة (الدانوب) ونظم أمور الولاية وأصلح الري واهتم بالزراعة ونظم الأمور المالية. وفي مجال النقل أنشا الطرق والجسور، ومد خطوط السكك الحديدية وشجع التعليم.

وفي ٣٠ نيسان ١٨٦٩م أصبح والياً في العراق وقام بإصلاحات عديدة أكسبته شهرة واسعة في بلاد الرافدين، ففي الجانب الثقافي اهتم مدحت باشا بإنشاء المدارس الحديثة والمطابع وأصدر صحيفة الزوراء وكانت الطباعة والصحافة[٨١] من أولى اهتمامات مدحت باشا فجلب معه مطبعة من اسطنبول باشرت بإصدار أول صحيفة في العراق وصدر عددها الأول في ١٥ حزيران ١٨٦٩، واستمرت في الصدور حتى آذار ١٩١٧م. وكان مجموع ما صدر منها ٢٦٠٦ عدداً. وفي مجال التعليم اهتم مدحت باشا بإنشاء المدارس الحديثة التي تدرس فيها العلوم الحديثة. وكانت أول مدرسة

٧٩- للتفاصيل عن إصلاحات مدحت باشا في العراق يراجع: محمد عصفور سلمان، العراق في عهد مدحت باشا ١٨٦٩-١٨٧٢، بغداد ٢٠١٠.

٨٠- للتفاصيل يراجع: قدري قلعجي، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، بيروت ١٩٥١ ; احمد امين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة ١٩٤٨ ; مذكرات مدحت باشا، تعريب يوسف كمال حتاتة، القاهرة ١٩١٣.

٨١- وعن الطباعة والصحافة يراجع: عباس ياسر الزبيدي، تاريخ الصحافة العراقية منذ نشأتها حتى عام ١٩٣٦، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥ ; جواد بطي، تاريخ الطباعة في العراق، بغداد ١٩٦٣ ; خليل صايات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، القاهرة ١٩٥٨ ; عبد الرزاق الحسني، تاريخ الصحافة العراقية بغداد ١٩٧٥.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

أنشاها الوالي هي المدرسة الرشدية العسكرية في العام ١٨٦٩م. ومدة الدراسة فيها أربع سنوات يدرس فيها التلاميذ اللغات العربية والتركية والفارسية والجغرافية والدين والحساب والخط. ثم أنشئت مدارس أخرى في كركوك، وإعدادية عسكرية في بغداد عام ١٨٧١م وقبلها تأسست مدرسة حديثة في العام ١٨٧٠م لإعداد موظفين للولاية. فضلا عن تأسيس مدرسة مهنية "مدرسة الصنائع". أما المدارس الابتدائية فلم تؤسس في العراق إلا في العام ١٨٨٩م لذلك بقى التعليم الابتدائي مقتصراً على الكتاتيب[٨٢].

وفي الإصلاحات العامة ألغى الوالي عدد من الضرائب التي أثقلت كاهل المواطنين العراقيين والتي لا ينص عليها القانون، ووضع نظاماً عادلاً للضرائب. وانشئت مستشفى في الجانب الغربي من بغداد سميت "دار الغرباء" افتتحت عام ١٨٧٢م، كما تأسست مراكز للحجر الصحي في مناطق الحدود للحد من انتشار الأمراض الانتقالية التي كانت تنتقل عن طريق المسافرين.

واهتمت حكومة مدحت باشا بخدمات البريد والتلغراف وتأسست أول خدمة بريدية عامة عام ١٨٦٨م توسعت في العام ١٨٦٩م، وفي العام ١٨٧١م انتشرت خطوط التلغراف في اغلب المدن العراقية. كما شجعت الحكومة الأهالي على بناء الدور السكنية الحديثة، فضلاً عن إنشاء السلطة الخانات (الفنادق) على الطرق الخارجية وفي المدن.

وفي الجانب الإداري طبق قانون الولايات العثماني الصادر في الثامن من تشرين الثاني ١٨٦٤م، وقد طبق القانون في عهد مدحت باشا. وقسم العراق بموجب القانون إلى ولايتين بغداد والموصل، وقسمت الولاية إلى ألوية واللواء إلى أقضية والقضاء إلى نواحي والنواحي إلى قرى. وشكلت مجالس إدارية لكل من اللواء والقضاء والناحية تضم عددا من الأشخاص. أما القرية فكان يوجد المختار. وفي العام ١٨٦٩م أسست

٨٢- للتفاصيل عن التعليم في العراق يراجع: ابراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢، البصرة ١٩٨٢ ; جميل موسى النجار، تاريخ التعليم في العراقي العصر العثماني الأخير، بغداد ٢٠٠١، ; عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني.